



ومن السبل النافعة في اجتماع الأمة وائللافها : الحذر والتحذير من الاختلاف والانفراق .

أولاً: تواترت النصوص في الكتاب والسنّة المحدّدة من الانفراق وتکاثرّت؛ وذلك لخطورة الانفراق وآثاره الجسيمة على الأمة الإسلامية.

قال تعالى: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [آل عمران:105].

وقال أيضاً: **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [الأعراف: 159].

وقال تعالى: **{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرِحُونَ}** [الروم: 31] - [32].

وقال تعالى: **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أُقِيمُوا الدِّينُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}** [الشورى: 13].

وقال تعالى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَيَّنُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقَوَّنُ}** [الأعراف: 153].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: "هذه سُبُّل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَيَّنُوا السُّبُّلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}**".

ثانياً: والانفراق في اللغة خلاف الاجتماع ، والتفرّق والانفراق سواء، وفي الجملة نجد أن الانفراق يدور في اللغة حول معاني:

التفرق، والانفصال، والشذوذ، والانقسام، والانقطاع، والخروج عن الجادة، وعن الجماعة وغيرها من المعاني.

وأما الافتراق في الشرع فيطلق على معنيين :

الأول: الافتراق عن الجماعة الحق ومخالفتها في أصلٍ كليٍّ ، وهذا التفرق هو المقصود من قوله تعالى: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَقِّرُوا}** [آل عمران: 103]، قوله صلى الله عليه وسلم: "تَفَرَّقَ اليهودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، أَوْ اثْنَتَيْ سَبْعِينَ، وَالنَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ، وَسَتَفْرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً".

والثاني: الافتراق عن جماعة المسلمين وإمامهم ، بالخروج عليهم في استحلال السيف فيهم، وهذا هو المقصود من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاغِيَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَا تَمِيتَهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَأْيَةِ عُمَيْيَةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتُلَ فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لَا يَنْحَاشِي مِنْ مُؤْمِنَهَا، وَلَا يَفِي بِعَهْدِ ذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْنُ مِنِّي".

والرأيُ العُمَيْيَةُ هي الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهُه، ومنه قتال العصبية للقومية والقبيلة.

والتعريف الشامل للافتراق:

هو الخروج عن منهج أهل السنة والجماعة في أصلٍ واحدٍ أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية ، ومنه الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف.

وأهل الافتراق هم المخالفون لنهج السلف الصالح، وهم: أصحاب السيف، الخارجون على أئمة المسلمين، و منهم أهل الجدل والخصومات في الدين، وأهل الكلام، وأصحاب البدع والمحدثات في الدين، كالخوارج، والشيعة، والقدريّة، والمرجئة، وغيرهم.

وفي العصور المتأخرة ظهرت أهواء حادثة، ك أصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة، كالقومية، والبعثية، والعلمانية، فهم كلُّهم في سبيل الفرقة، بل غالبيهم في سبيل الردة والخروج من الملة.

قال الشاطئي - رحمه الله - في كتابه النافع "الاعتصام" 2/200 متحدثاً عن حديث الافتراق: "وذلك أنَّ هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها لفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة لا في جزئي من الجزئيات ، إذالجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيئاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية ، لأنَّ الكليات تقتضي عدداً من الجزئيات غير قليل ... ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات ، فإنَّ المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المختبرة عاد ذلك على كثيرٍ من الشريعة بالمعارضة ، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً ، وأماالجزئي فبخلاف ذلك ، بل بعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلترة ، وإن كانت زلة العالم مما يهدم الدين ، حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاثة يهدمن الدين : زلة العالم ، وجداول منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون ، ولكن إذا قرب موقع الزلة لم يحصل بسببها تفرق في الغالب ولا هدم للدين ، بخلاف الكليات".

وقد حصل الافتراق في الأمة في أصولٍ كثيرةٍ كتعطيل الأسماء والصفات، ومسألة الإيمان والإمامنة، ومسائل الوعد والوعيد، والتکفير والتفسيق، ومسألة القدر، والصحابة وآل البيت وغير ذلك مما هو مسطرٌ في كتب الاعتقاد.

ثالثاً: والافتراق له أضرار كثيرة:

- منها: الهلاك في الدنيا والآخرة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَخْتَلِفُوا ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهُمْ أَكْلُوا رُوَاحَ الْبَخَارِي".

- منها: تسويد الوجوه يوم القيمة ، يقول الله تعالى: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَعَظِيمٌ}** (105) يومَ تَبَيَّنَتْ فُجُوهُهُمْ وَتَسُودُ فُجُوهُهُمْ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ فُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [آل عمران: 105 ، 106].

- ومنها: تعطيل الجهاد في سبيل الله، وسلط الأعداء على الأمة المسلمة ، قال تعالى: {وَلَا تَنَازِعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِحْكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" 22/254: "ولاد الشرق من أسباب تسلط الله التر عليها، كثرة التفرق والفتنة بينهم في المذاهب وغيرها".

رابعاً: والتفرق له أسبابه الكثيرة:

- فمنها: الخلل في منهج التقلي: فمنهم من جعل علم الكلام والفلسفة مصدراً لمعرفة الحق ، ومنهم من سلك طريق الكشف والذوق واعتمد على الرؤى والمنامات والأحاديث الضعيفة بل الموضوعة في معرفة الحق، ومنهم من جعل دينه التعصب للرجال والأحزاب والجماعات.

- ومنها: البغي والظلم كما قال سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [آل عمران: 19]، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الشورى: 14]، قال أبو العالية: "بغيا على الدنيا وطلب ملتها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس".

- ومنها: اتباع الهوى الذي هو من أكبر الأسباب في رد الحق والإقامة على الباطل كما قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاءً وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية: 23]

وإنهما أمران لا ثالث لهما: إما أن يكون المرء متبعاً للهوى، أو يكون متبعاً للحق، قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} [القصص: 50]، ولذلك سمي أهل البدع "أهل الأهواء" لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدّموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك.

- ومنها: اتباع المتشابه وترك المحكم الواضح المبين ، وقد حذر الله هذه الأمة من اتباع المتشابهات ، فقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 7]

وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- : قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمٌ} - وقرأت إلى - {وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} فقال: "إِنَّمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمِّيَ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ".

- ومنها: الابتداع في الدين، قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21]، وقال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمراً ما ليس منه فهو رد".

- ومنها: الغلو في الدين الذي كان سبباً في هلاك الأمم من قبل، قال الله سبحانه وتعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ} [النساء: 171]، وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين".

- ومنها: اتباع سنت من كان قبلنا من اليهود والنصارى والمرجعيين، وخاصة في الافتراق فهو سنته كفرية جاهلية، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ} [الروم: 31، 32].

- ومنها: كيد أعداء الإسلام والذين أظهروا الإسلام قصدأ لفت قوته وتقويض دولته وزرع الخلافات بين أهله واتخذوا من الحركات الباطنية والسرية لنشر أباطيلهم .

فالتشيع الغالي أسسه اليهودي عبد الله بن سباء ، وتعطيل الصفات أخذه الجعد من فلاسفة اليهود والصابئة، والقدري معبد الجهنمي أخذ من فلاسفة النصارى.

- ومنها: الجدل والخصومة في الدين بغير علم يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ

إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَا هُمْ بِالْغِيَةِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [غافر: 56]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل".

- ومنها: العصبية للآراء والمذاهب، والتقليد للرجال، وتقديم أقوالهم على قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: {أَتَخُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبية: 31].

خامساً: فالافتراق مرضٌ خطيرٌ يجب مدافعته قبل وقوعه، ورفعه بعد أن يقع بكلٍّ سبيلٍ ومن ذلك:

- الاعتصام بالكتاب والسنّة، كما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: 103]، وقال رسول الله صلى عليه وسلم: "تركت فيكم شيئاً لن تضلوا بهم كتاب الله وسنّتي ولن يتفرقوا حتى يردا على الحوض".

- الالتزام بمنهج التلاقي والاستدلال المبني على الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالحة.

- تلقي العلم الشرعي عن العلماء الراسخين من أهل السنّة والجماعة.

فالالتزام بالكتاب والسنّة وعلى منهج الجماعة الأمّ خيراً لمرضٍ الافتراق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة ، وإيّاكُم والفرقة ، فإنَّ الشيطانَ مع الوَاحِد ، وهو من الاثنين أبعد ، منْ أَرَادَ بُحْبُوَّةَ الجنة فليلزم الجماعة". وبمحبوبة الجنة: وسطها ، وبمحبوبة كل شيء وسطه وخياره.

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاغِيَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَا تَمِيتَهُ جَاهِلِيَّةٌ» .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (3/ 421): "فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكو، فإنَّ الجماعة رحمةٌ والفرقة عذابٌ".